مجلة كلية الآداب بقنا (دورية أكاديمية علمية محكمة)

الأثر الديني في شعر ابن شِبْرِين الأندلسي

" ت : ٧٤٧هـ"

د. محمود سليم علي سليم

مدرس الأدب والنقد بقسم اللغة العربية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادي

DOI: 10.21608/qarts.2023.225640.1724

مجلة كلية الآداب بقنا – جامعة جنوب الوادي – المجلد (٣٢) العدد (٦١) أكتوبر ٢٠٢٣

الترقيم الدولي الموحد للنسخة المطبوعة ISSN: 1110-614X

الترقيم الدولي الموحد للنسخة الإلكترونية ISSN: 1110-709X

موقع المجلة الإلكتروني: https://qarts.journals.ekb.eg

الأثر الديني في شعر ابن شِبْرِين الأندلسي " ت : ٧٤٧هـ"

الملخص:

تناولتُ في هذا البحث شعرَ ابن شِبْرِين الأندلسي "ت: ٧٤٧هـ", وقد جاءت الدراسة فيه للكشف عن أهم الموضوعات التي تناولها الشاعر من الناحية الدينية، والتي تجلَّت عنده في نقاطٍ كثيرة كان أهمها : الأخلاق الإسلامية, وكذلك الزهد ونظرته إلى الدنيا وكيف أدى ذلك إلى ظهور الحكمة الدينية عنده ونقل خبرته من خلال شعر إلى الناس, كما وردت عنده معانٍ ومفاهيم إسلامية أخرى كان أظهرها المديح النبوي، وقد اتضح هذا الأثر عند ابن شِبْرِين في أغراضه الشعرية خاصة في غرض الرثاء, ثم تحدثت عن الأثر الديني في لغته الشعرية , حيث جاءت هذه اللغة تستقي من اللفظ الديني مادتها سواء على مستوى اللفظ المفرد أو الجمل المركبة اتضح فيها تأثره بالنص القرآني والحديث الشريف, كما وظّف الشاعر الأسلوب الإنشائي بأنواعه المختلفة في مضامين ظهر فيها الأثر الديني بشكل ملحوظ وكان من أهم هذه الأساليب (الأمر – الاستفهام– النداء – القسم – النهي – الندبة – التعجب).وقد اعتمدت في هذا البحث على آليات المنهج الفني فجاءت الدراسة بشق موضوعي, وآخر فني .

الكلمات المفتاحية : ابن شِبْرِين، الأثر، الديني، الإسلامي، شعر.

تمهيد:

التعريف بالشاعر:

ورد ذكر أبي بكر محمد بن شِبْرِين عند كثير من علماء عصره, ومَن جاء بعده من المشتغلين بعلوم الدين والسِّيَر والأدب العربي؛ لما له من منزلة ودراية بالعلوم الشرعية, والأدب – شعره, ونثره – , ولعل لسان الدين بن الخطيب أبرز من تحدث عن ابن شِبْرِين ونتاجه الأدبي خاصة, ويذكر في "الإحاطة في أخبار غرناطة" تعريفًا له حين قال هو : " محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عليّ بن شِبْرِين يكنى أبا بكر, شيخنا الفقيه القاضي المؤرخ الكاتب البارع رحمة الله عليه"[١], وتتضح مكانة ابن شِبْرِين من وصف ابن الخطيب له بقوله: (شيخنا) مشيرًا بذلك إلى أن أبا بكر بن شِبْرِين أحد مشايخ لسان الدين بن الخطيب والحقيقة أن ذلك الأمر بدا جليًّا في مواضع كثيرة من الإحاطة عندما يأتي الحديث عن الشيخ الفقيه الشاعر ابن شِبْرِين.

عاش ابنُ شِبْرِين بين المغرب والأندلس؛ إذ ولد في سبته ولكنه انتقل إلى غرناطة حيث " انتقل أبوه عن إشبيلية عند تغلُّب العدوِّ عليها, وذلك عام ٦٤٦: فاحتلَّ رُندَة, ثم غرناطة, ثم انتقل إلى سبته, وبها وُلد ابنه أبو بكر هذا"[٢], وكان مولده" في أواخر سنة ٦٧٤هـ (١٢٧٦م). بدأ تعلمه بالقراءة على جدِّه لأمِّه أبي بكر بن عبيد الإشبيلي وعلى الأستاذ أبي إسحاق الغافقيّ، ثم إنه رحل إلى تونس ولقي نفرًا من علمائها"[٣].

ولم يلبث أن عاد إلى الأندلس ونزل غرناطة في " أواخر عام ٧٠٥"[٤] , وأُكرم بها، وبَعُدَ صيته واشتهر بالأندلس, فقد كان معدودًا من أصحاب الكياسة والعلم

مُجيدًا للغة نظمًا, ونثرًا ؛ إذ " تولَّي الكتابة للسلطان أبي عبدالله محمد بن محمد المخلوع (٧٠١ – ٧٠٨هـ) وتولَّى القضاء أيضًا"[٥]. أُطلق عليه السبتي, والأندلسي, أو الإشبيلي حيث إن " أصله من إشبيلية, من حصن شلْب من كورة باجة, من غربي صُقْعها، يعرفون فيها ببني شِبْرِين, معروفة قديمة, وُلِّي جده القضاء بإشبيلية, وكان من كبار أهل العلم"[٦], وكذلك الحال تولَّى ابن شِبْرِين " القضاء بكثير من الجهات , وكان – رحمه الله – فريد دهره في حسن السمت, وجمال الرواء, وبراعة الخطّ, وطيب المجالسة, من أهل الدين والفضل والعدالة, غاية في حسن العهد ومجاملة العشرة"[٧], كما ذكر لسانُ الدين بن الخطيب فضلَه على كثيرٍ ممن عاصرهم وهذا ما يتضح في كتابه " الكتيبة الكامنة" عندما قال: إنه" خاتمة المحسنين, في هذه السنين, وبقية الفصحاء اللسنين, ملأ العيون هديًا وسمتًا وصوتًا, وصمتًا, وسلك من الوقارِ طريقةً لا ترى فيها عِوَجًا, ولا أمتًا, فما شئت من كمال باهر, وتألق زهر ... وذات فضلها الله تعالى على ذوات"[٨], فقد تعامل ابن الخطيب مع ابن شِبْرِين معاملة التلميذ وشيخه.

كما تردَّدَ ذكرُه عند لسان الدين بن الخطيب في كتبه, بل ضُرب به المثل أدبًا وتفننًا وفضلًا, ولعل مثل ذلك ما نجده في كتابه اللمحة البدرية في الدولة النصرية في ثنايا حديثه عن ثالث ملوك بني نصر في الأندلس محمد بن يوسف بن نصر (أبي عبدالله) بقوله:" ممن يشار إليه في تضاعيف الأسماء, كالشيخ الفقيه القاضي أبي بكر بن شِبْرِين"[٩] مادحًا ذكره فيما أورد.

عُرف عن ابن شِبْرِين الوفاء وجميل الصنيع, وقد شُكر على ذلك كثيرًا من قِبل الكُتاب والعلماء, ومن ذلك ما نجده عندما رثى ذا الوزارتين ابنَ الحكيم بقصيدة طويلة مطلعها :

سَقى اللهُ أَشلاءً كرُمنَ عَن البِلى وَما غضَّ مِن مِقدارِها حادِثُ البَلا

وَمِمَّا شَجاني أَن أُهين مَكانُهـــا وَأُهمِل قَدرٌ مـــا عَهدناه مُهمَلا[١٠]

فعندما فرغ منها " كتب ابن لسان الدين على هامش هذه القطعة ما صورته: شكر الله وفاءك يا ابن شِبْرِين وقدَّسَ لحدَك, وأين مثلك في الدنيا حسنًا ووفاءً وعلمًا؟"[١١], ومن ثَمَّ كان ابن شِبْرِين رجل دين يتمتع بصفات دينه, ثم هو أديبٌ أريب.

أما وفاته فقد جاء في الإحاطة أنه " مضى لسبيله شهابًا من شُهب هذا الأفق, وبقية من بقايا حلبة السبق, رحمه الله في ليلة السبت الثاني من شهر شعبان المكرم عام سبعة وأربعين وسبعمائة"[١٢], وقِيل إن وفاته كانت في الثالث[١٣] من شهر شعبان وليس الثاني كما ذكر لسان الدين بن الخطيب.

نتاجه الأدبي :

ترك ابن شِبْرِين تراثًا من الشعر والنثر يدل على أديبٍ امتلك من القول أحسنه ؛ فمتى تقلَّد صهوة الكتابة – شعرًا أو نثرًا – اهتمَّ النقاد وأربابُ الأدب بصنعه , وهذا ما يؤكده صاحب الإحاطة حين ذكر فضله عند أهل الأدب قائلًا : " وإن نظم أو نثر تَبِعَت البلغاء ذلك الأثر، وإن تلكم أنصت الحفل لاستماعه"[١٤], فقد عدّه النقاد في جملة الكُتاب, وكذلك الشعراء, فقد كان " من شيوخ الكُتاب, حسن الخط وكان فصيحًا مقتدرًا في نظم الشعر بارعًا في النثر"[١٥], ومن ثم أثنى عليه النقاد قديما, وحديثًا فلا يختلف أحد على مكانته بين شعراء عصره, ومنزلته عند أهل النثر أيضًا.

ففي مجال النثر تقلّد مهنة الكتابة ولمع فيها فقد كان " مليح الكتابة, سهلها صانعًا سابقًا في ميدانها راجحًا كفَّة المنثور, وكانت له رحلة إلى تونس اتسع بها نطاق روايته , وتقلّب بين الكتابة والقضاء"[١٦], وقد امتاز نثره بحسن الصياغة والتنوع بين

الأساليب الخبرية, والإنشائية, واستعمال العبارات القِصار السريعة, عذب اللفظ, واضح المعاني, لا يخلو من الدعابة , وقد أشار إلى ذلك لسان الدين بن الخطيب عند حديثه عن كتاب ابن شِبْرِين إلى الحكم بن مسعود فقال وكتب: " شاهد المواريث بهذه الدعابة التي تستخفُّ الوقور, وتَلِجُ السمعَ الموقور"[١٧], ومن ثم تنوّع نثر ابن شِبْرِين بين الكتابة الديوانية, والكتابة الإخوانية, نظرًا لتوليه القضاء والكتابة عند الأمراء, والكتابة الإخوانية عند مراسلة الأصدقاء, وأهل الفضل والعلم.

أما عن شعره :

فلنا وقفة هنا؛ لِمَا للرجل من ذوق أدبي في النظم يدل على منزلة عالية في قرض الشعر, فقد نظم ابن شِبْرِين في موضوعات شتى نوَّعَ فيها بين الرثاء, والفخر, والمدح, والنسيب, والوصف, والحكمة, والزهد, وبتصفح شعره يُلحظ تأثر ابن شِبْرِين بالواعظ الديني كثيرًا؛ إذ يظهر عنده الأثر الديني جليًا , حيث كثر عنده الاقتباس من اللفظ ذي الصبغة الإسلامية, وهذا ما يجعل الغلبة في أشعاره للموضوعات المتعلقة بالأمور الدينية لا الدنيوية, فهو يركز دائمًا على إعمال الفكر حول ثنائية الحياة والموت, وربما السبب وراء ذلك مرجعية ابن شِبْرِين الدينية فهو يُصنَّف ضمن الفقهاء, وجملة القضاة، وكذلك كانت نشأته في بيت فقه ودين, كما يرجع يرجع السبب وراء هذا – أيضًا – إلى إكثار ابن شِبْرِين من شعر الرثاء وربطه بالعظة وأحوال الدنيا الفانية, وتتفاوت قصائده بين المقطوعات القصيرة والقصائد الطوال، بَيْد أنه كثُر عنده استعمال الطوال منها؛ فقصائده " طوال وعليها شيء من الرونق والنفَس الصوفي غير أنه أحيانًا كثير التكلُّف"[١٨] ؛ فحين يرثي يُشعر المتلقي بمرارة الفقد, ومدى الأسى والحزن المسيطر على الفؤاد واللب, ومن ذلك قوله في رثاء ابن الحكيم: [الطويل]

ألا إنَّ يومَ ابن الحكيم لمُثكِلٌ فؤادي، فما ينفكُّ ما عشتُ مثكَلا

فقدناه في يومٍ أغرَّ محجـَّلٍ ففي الحشـــرِ نلقاه أغرَّ محجَّلا
لتبكِ عيونُ الباكيات على فتىً كريم إذا ما أسبغ العـرفَ أجزلا[19]

يرثي ابن شِبْرِين ذا الوزارتين ابن الحكيم معبرًا عن شدة الحزن لفقده مستخدمًا الألفاظ الدالة على الصدق الشعوري، كثكل القلب وحزنه, وكذلك فقد رجُلٍ أغرَّ محجلٍ يتمنى لقياه في الآخرة كما تركه في الدنيا, موجهًا خطابه للعيون بكثرة البكاء على هذا الرجل الكريم الذي يعطي بسخاء ووفرة, فيأتي باللفظ المعبر عن مصيبة الموت المصحوب بالمعنى الدال على الأثر الديني, ومثله – أيضًا – في أبي بكر محمد بن عبدالواحد البلوي حين " توفي ببلده عن سن عالية في شهر ربيع الآخر عام ثمانية وثلاثين وسبعمائة "[٢٠] فقال: [البسيط]

يا عَينُ سِحّي بِدَمعٍ وَاكِفٍ سربِ لِحاملِ الفَضلِ وَالأخلاق وَالأَدَبِ
بكَيتُ إِذ ذُكِرَ المَوتــى عَلى رجلٍ إلى بَلِيٍّ مِن الأَحياء مُنتســبِ
عَلى الفقيه أَبي بَكر تَضمَّنَـــهُ رَمْسٌ وَأعمَل سَيرًا ثُمَّ لــَم يؤبِ
إِنَّا إِلى الله مِن فَقد الأَحِبَّةِ مَـا أشدَّ لَذعًا لِقَلب الثاكـل الوَصِبِ[٢١]

لا شك أن القارئ لمثل هذا الرثاء ينفطر قلبُه حزنًا على المقصود به, إذ يبدأ الشاعر بالأسلوب الطلبي الموجَّه لمصدر البكاء الدالِّ على الحزن فلا يطلب البكاء فحسب، وإنما يطلب أن تسح والسح هنا يستخدم للمطر النازل بغزارة ليدلل بذلك على طلبه كثرةَ البكاء، فالحدث جلل؛ فلم يكن فقدُ البلوي بالشيء الهين فهو حامل الأخلاق والأدب فمتى ذُكر الموتى يبكي شاعرنا على هذا الفقيه الذي لا نملك أمام موته إلا التسليم لقضاء الله فيقول: إنا إلى الله، ولكن لفقد الأحبة حزن قابع في القلب.

ولم يكتفِ ابن شِبْرِين بالنظم في غرض الرثاء فحسب، بل له أشعار أخرى في موضوعات كثيرة، كالنسيب الذي يستقي له من اللفظ أعذبَه, ومن المعنى أوضحَه, ولكن في وقارٍ, وخفةِ وَقْعٍ, كقوله: [الخفيف]

مُنتَهى مَطلَبي وَأقصى مَرامي نَظرَةٌ مِنكَ قَبل يَوم الحِمـــــامِ
لَمْ أُسِغ مُذ نَزعت عَنِّي شَرابي يا حَبيبي وَلا اِستَطبتُ طَعامــي
ظَلَمتني فيكَ النَوى أَيّ ظُــلمٍ وَامتَحـــــى نورُ وَصلِنا بِظَلامِ
فَسَلامٌ عَلى السُرور فَما كــا نَ سِوى الحُلْمِ غَرَّني في المَنامِ[٢٢]

فعندما يتغزل نجده يخاطب الشعور مازجًا بين عاطفتي الحب والحزن، حبِّ الحبيب والحزنِ لِلَوْعَةِ الفراق, فيأخذ المتلقي إلى معايشة الحالة الوجدانية له بداية من استهلاله بمنتهى مطلبه في النظرة إلى المحبوبة قبل الموت, ومع ذلك لا ينالها فيؤدي به ذلك إلى عدم بمذاق الطعام والشراب, وهنا نجده يواجه ظلمًا يجعله يشعر بالظلمة التي يأمل أن تتحول إلى نورٍ فتنجلي، ولعل ذلك لا يحدث إلا في منامه فيرجو السلام على هذا السرور رغم كونه ليس حقيقة.

وفي الوصف يبدع ابن شِبْرِين في استدعاء صورة الطبيعة في الأندلس في شعره, وقد جاء ذلك في مواطنَ كثيرةٍ عنده, كقوله معتذرًا عن شدة البرد في غرناطة: [الطويل]

رَعى اللهُ مِن غَرناطَةٍ مُتَبــوَّأً يسرُّ كَئيبًا أَو يُجيرُ طَريــدا
تَبرَّمَ مِنـها صاحِبي عِندَمـا رَأى مَسارحـها بِالبَرْدِ عُدْنَ جَلِيدَا
هِيَ الثَغرُ صانَ اللهُ مَن أَهِلَتْ بِهِ وَما خَيرُ ثَغرٍ لا يَكون بَرودا[٢٣]

فهو يصف شدة البرد التي قد يلقاها من ينزل غرناطة, ولكنه بدأ بالدعاء لها بالرعاية من قِبل الله – عزَّ وجلَّ– واصفًا حالها الذي قد يلقاها فيه المرء فهي مأوى يسر الكئيب ويلجأ إليه الطريد رغم صعوبة العيش فيها برودة جوها في الشتاء, ثم يختتم بالدعاء أيضًا؛ فهي ثغر من ثغور البلاد يرجو له السلامة, وقد قال لسان الدين بن الخطيب في هذه الأبيات : " من أبدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها, ما هو غريب في معناه قولُ شيخنا القاضي أبي بكر بن شِبْرِين رحمه الله"[٢٤], ومن ثم تناول ابن شِبْرِين موضوعاتٍ عدَّةً في شعره ناقش خلالها مضامين متنوعه بأسلوب غلب عليه الطابع الديني.

ولعل أحد أهم أسباب اختيار الأثر الديني في شعر ابن شِبْرِين نزعتُه الدينية التي أحاول في هذا البحث رَصْدَ ملامحَها, والوقوفَ على أهم ما جاء فيها, وكيف كان لنشأته الدينية دورٌ في تشكل هذه الملامح, وكذلك رصد الخصائص الفنية, وتوظيفها في التعبير عن القيم الدينية عنده.

أما عن الدراسات السابقة, فبقراءات متفردة حول ابن شِبْرِين وشعره لم ألحظ أن أحدًا من الباحثين – حسب بحثي وظني – أفرد دراسة مستقلة تناول فيها شعر ابن شِبْرِين على النحو الوارد في هذا البحث, وقد كان جلُّها حول جمع شعره وتحقيقه من كتب التراث المتعددة, مع الإشارة إلى تصنيف الموضوعات التي تناولها الشاعر, مثل :

بحث بعنوان : شعر ابن شِبْرِين الجذامي الأندلسي جمع ودراسة وتحقيق م.م. سعد هاشم الطائية – العدد (١٣)– كلية التربية – جامعة واسط – ٢٠١٣م.

وبحث بعنوان : ما تبقى من شعر ابن شِبْرِين السبتي جمع ودراسة د. نجوان كمال السيد – العدد(٣٣) – مجلة كلية الآداب – جامعة سوهاج ٢٠١٢م.

ومن هنا جاءت هذه الدراسةُ لرصد الأثر الديني من خلال تناول النقاط الآتية:

- أولًا: الأخلاق الإسلامية في شعره.
- ثانيًا: الزهد ونظرته إلى الدنيا.
- ثالثًا: الحكمة الدينية والعظة عنده.
- رابعًا: معانٍ ومفاهيم إسلامية أخرى.
- خامسًا: الأثر الديني في لغته الشعرية وأساليبه الإنشائية.
  - الأثر الديني في لغته الشعرية.
  - الأثر الديني وعلاقته بالأساليب الإنشائية

وقد استخدمت المنهج الفني للوقوف على أهم الخصائص الفنية التي وظَّفها الشاعر للكشف عن الأثر الديني عنده.

أولًا : الأخلاق الإسلامية في شعره

لا شك أن القيمة الحقيقة للأدب – شعرًا كان أو نثرًا – هي تهذيب النفس والطبع، أي تربية المرء على الأخلاق الحميدة , وهكذا قال العلماء في كل العصور, فالأخلاق أحد الدعائم الرئيسة في تحديد مفهوم الأدب بشكل عام والشعر على وجه الخصوص, ففي تتبع تطور كلمة أدب في عصور الأدب العربي نجدها بداية من صدر الإسلام اتخذت معنًى حسيًّا قائمًا على التهذيب والأخلاق قبل إطلاقها على

الشعر والنثر, وهذا ما يتضح في قول النبي – صلى الله عليه وسلم – " أدبني ربي فأحسن تأديبي"[٢٥].

وارتباط الأدب بمخاطبة الوجدان أدعى إلى تربية وتهذيب الإنسان " فبالأدب يصل الإنسان إلى فهم ظواهر الحياة وتذوق كيفياتها, وقد يكون هذا الفهم والتذوق أحسن وأقوى من فهمها وتذوقها مباشرة بغير واسطة الأدب"[٢٦], وكما أسلفت بذكر أسباب الأثر الديني في شعر ابن شِبْرِين فلا ينفك السبب ذاته في تجلي الأخلاق الإسلامية عنده.

فقد تناول الخصال الإسلامية في غير موضع من شعره، واستقى سياقاتها من خلال المرجعية الفقهية لديه, ففي مضمون الرثاء نجده يذكر الصفات الإسلامية التي تُعلي من قدر الميت, والتي يراها خصالًا تدعو إلى الحزن عند فقدها بموت صاحبها, ومثل ذلك ما نجده في رثائه ابنَ عبد الواحد البلويَّ بقوله : [البسيط]

بـكَـيتُ إذ ذُكِرَ المَوتى عَلـى رجُلٍ　　إلى بَـلِيٍّ مِـن الأَحيـــاء مُـنـتسبِ
قَـد كـانَ لي مِـنـهُ ودٌّ طابَ مَشرَعُه　　مـا كـــانَ عَـن رغَـب كـلَّا وَلا رَهـبِ
لَكـن وَلاءً عَلى الرَّحمن مُحتَسبـًا　　فـي طاعَـة الله لَم يُمذَق وَلَم يُشَبِ[٢٧]

يستعمل ابن شِبْرِين في بكائه على الميت تَعدادَ بعضِ خصاله وأخلاقه المكتسبة من تعاليم الدين الإسلامي جاعلًا من هذه الأخلاق سببًا للرثاء، فمتى تذكر الفقيه أبا بكر خيم الحزن عليه؛ فقد كان يرى فيه حسن المعاملة من الود في قوله : (ود طاب مشرعه) , وأن هذا الحب خالص لوجه الله – تعالى – لا تشوبه رغبة ولا رهبة في شيء, ثم يأتي بخُلق آخر يتمثل في (طاعة الله عزّ وجلّ) ويجعله مضمونًا رئيسًا للخُلق السابق يتمثل في طاعته لله – سبحانه تعالى – واصفًا هذا الولاء بأن ولاء

خالص لا يشوبه شيء يكدّره, بل هو سهل الخليقة بشوش الوجه؛ إذ يقول – أيضًا – : [البسيط]

سَهل الخَليقة بادي البِشر منبسط يَلقى الغَريب بِوَجه الوالد الحَدِبِ[٢٨]

وهنا يعبر عن خَصلة إسلامية يهتدي فيها بِهَدْيِ النبيّ – صلى الله عليه وسلم – : " تبسمك في وجه أخيك صدقة"[٢٩] ليصف لقاءه للغريب بوجه مطمئن يشعره بمدى قربه منه؛ إذ يلقاه بوجه الوالد الذي يحنو، فينعته بالحدب أي الذي فيه عطف ورفق ومحبة.

وقد ورد عنده هذا الخُلق في مواطن عديدة, ومنه – أيضًا – قوله في رثاء ابن هانئ اللخمي : [الكامل المجزوء]

مُغْضٍ عن الإخوان لا جَهْمُ اللقاءِ ولا كَنُودُ[٣٠]

مشيرًا إلى صفة الصفح والتسامح التي كان يتمتع بها ابن هانئ اللخمي, ثم يمزج معها صفة اللقاء الرَّحب، فلا جهم ولا كنود، أي لا يعد المصائب ولا ينسى النعم.

وقد يأتي بجملةٍ من الأخلاق الإسلامية ويخلعها على المقصود بالرثاء, فينوع في ذكر تلك الخِصال ذات الأثر الديني, كقوله : [الطويل]

لِتَبكِ عُيونُ الباكيات عَلـــى فَتًى كَريمٍ إِذا مـــا أَسبَغَ العُرف أجزَلا
عَلى خادِمِ الآثار تُتلـــى صَحائِفًا عَلى حامل القُرآن يُتلـــى مُفصَّلا
عَلى عضُدِ الملك الَّذي قَد تضوَّعت مَكارِمُهُ في الأَرض مِسكًا وَمَنْدَلا
عَلى قاسِمِ الأَموال فينا عَلـى الَّذي وَضَعنا عَلَيهِ كُلَّ إصر عَلى عُلا
وَأَنّـــى لَنا مِـــن بَعدِهِ مُتَعَلَّلٌ وَما كانَ فـــي حاجاتِنا مُتَعَلِّلا[٣١]

يرثي ابن شِبْرِين في هذه الأبيات الوزيرَ ابن الحكيم مستخدمًا أسلوب الأمر الذي يبرر به سبب استمرارية البكاء من قِبل الباكيات؛ إذ مات صاحب الأخلاق السامية التي يتخذ له فيها من القرآن الكريم مصدرًا، فهو حامل للقرآن وتفاسيره التي تعطيه صفات الكرم بسخاء, وهنا يصفه بالجواد القاسم للأموال مع مَن حوله, ويبرهن الشاعر على سبق ابن الحيكم للخيرات , بل فوزه لو قورن بابن شِبْرِين نفسه فيأتي لنا في البيت الأخير بأفضلية ابن الحكيم على الجميع بما فيهم الشاعر نفسه، وذلك في حديثه عن الحال بعد موته، فهم لا يستطيعون أن يفعلوا ما كان يفعل من قضاء الحوائج دون أن يتعلل, فيزكيه بحسن المعاملة وهو خلق إسلامي في المقام الأول.

وفي الرضا و الود وصلة الإخوة الصالحين وترك هوى النفس يقول : [مجزوء الرمل]

وَرضا الله هُوَ المَطْـ　　ـلُوبُ فـــي كُلِّ أَوانِ
وَأَخـــو الصدق لعمري　　ذُو مَقاماتٍ حِسانِ
وَهوى النَفس عَنـــاءٌ　　حائِلٌ دُونَ المَعاني
وَعَلى البَغضاء يَطوي　　ودّ إِخوان الخــوانِ[٣٢]

ينصح ابنُ شِبْرِين في هذه الأبيات بالتمسك برضا الله – سبحانه وتعالى – ويرى أن الرضا يجب أن يكون في كل وقت وحين مشيرًا بذلك إلى خصال الأتقياء, ويستخدم من هذه الصفات الصدق, ومخالفة هوى النفس, والبعد عن البغض, وكلها صفات ترقى بالنفس البشرية إلى مقامات حسان فيأتي باللفظ في صيغة الجمع دلالة على كثرة الصفات الحميدة التي تنقل الإنسان إلى درجات الصالحين.

ويبدو أن ابن شِبْرِين آثر توظيف الأخلاق الإسلامية في غرض الرثاء, فالرثاء بطبعه يعتمد على ذكر محاسن الميت, وقد فعل ذلك ابن شِبْرِين في شعره, وأتى بصفات تمتع أصحابها بخُلق الإسلام فبجانب تكريم ذكراهم, يذكر الأحياء فيترحموا عليهم, لعلها تكون زادًا لهم في آخرتهم.

ثانيا : الزهد ونظرتُه إلى الدنيا

يمثل شعر الزهد في البيئة الأندلسية غرضًا مهمًا تناوله شعراء الأندلس, فقد وُجد الأندلس كثير من الزهاد والمتصوفة, وقد كان ابن شِبْرِين أحدهم, خاصة في نظرته إلى الدنيا وهوانها في نفسه, وتبعًا لذلك اصطبغ شعره ببعض الإشارات التي تدل على زهده في الدنيا وتركِه متاعَ الحياة طمعًا في رضا الله ﷻ والفوزِ في بالآخرة, ونلمح هذا الأثر الدينيَّ عنده في مواطنَ غيرِ قليلةٍ في شعره, فقد عكست هذه الأشعار روح الرجل الزاهد في الدنيا الفانية التي يرى أن الواجب ترك ما فيها, فجاءت معاني الزهد عنده متمثلة في قناعته باليسر منها, من ذلك قوله : [البسيط]

يا ويحَ نفسي لأنفاسٍ مَضَت هَدَرًا بين البطالة والتَّسويــفِ واللَّعبِ
ظننتُ أَنِّــيَ بالأَيـــــامِ ذو هُـزُءٍ غَلِطْتُ بل كانتِ الأَيَّــامُ تَهْزَأُ بِي
أشكو إلى اللهِ فقري مـــــن معاملةٍ للهِ أنجو بها في مَوْقِفِ العَطَبِ[٣٣]

تظهر في هذه الأبيات نظرة ابن شِبْرِين الزاهد في الدنيا, فيبدي الندم على ما مضي من أيامٍ يرى أنها ضاعت دون فائدة, وأن ظنه بها كان خاطئًا, وهنا يجد أنْ لا ملجأَ من الله إلا إليه فيشكو حاله علَّ الله ينجيه يوم يفر المرءِ من أخيه وصاحبته وبنيه, فيصف الموقف بموقف العطب.

وفي موطن آخر يصف الحياة الدنيا نراه يقول : [البسيط]

أَما الحياة فقد [مَلِلْتُ] مدَّتها فعوّض الله منها خيرَ مُنْقَلَبِ[٣٤]

في إشارة نصية إلى ترك متاع الدنيا، ونَبْذِ الحياة الدنيا التي يرى أنه طال بقاءه فيها فيرجو من ربه عوضًا خيرًا في منقلبه, ومن ثم ينظر ابن شِبْرِين إلى الحياة الدنيا نظرة استغناء، ومُلهِمُهُ في هذه النظرة ثَبَاتُه الدينيُّ، فيرى أنها لا تساوي عنده جناح بعوضة, لذا يمل المكوث فيها.

وقد تعددت مضامين الحياة عند ابنِ شبرين, إذ نجده في موطن آخر من أشعاره ينظر إليها باعتبارها عرضًا زائلًا، فيقول : [البسيط]

أَلقى الزَمان عَليهم خُلعـةً حسُنَت لَكن عَلى عجَل ما ابْتُزَّتِ الخُلَعُ
ما ضَرَّ لَمَّا رَأَيتَ الصالِحين بِهـــا لَو كُنت تَقنع مِنها بِالَّذي قَنِعوا
جازوا عَلَيها فَلَم يَستهوهم عَرَض وَلا ألَمَّ بِهم حرصٌ وَلا جَشَـــعُ
فَكُلَّما عَرضت دُنيا لَهُم نَفَـــــروا وَكُلَّما ذَكَروا مَولاهُمُ خَشَعُـــوا[٣٥]

يدعو ابن شِبْرِين في هذه الأبيات إلى عدم الانخداع بمظاهر الدنيا التي قد تعطي المرءَ في أول أمره، ولكن سرعان ما تأخذ ما أعطته، فيدعو إلى التستر بالقناعة, مؤكِّدًا على ترك متاع الدنيا الفانية, طالبًا الاقتداء بالصالحين, متوجهًا في ذلك إلى ربه – سبحانه وتعالى– بالخشوع والإنابة, زاهدًا في الحياة برمتها .

وفي غدر الدنيا والتحذير من الانسياق خلفها نراه يصفها بصفات تدعو إلى الزهد فيها, والبعد عنها بأن ينأى المرءُ بنفسه عن متاعها حتى يطيبَ خاطره ويهدأ باله, إذ يقول : [الطويل]

فَإِن تَكُنِ الأَيام قَـــــد لعِبَت بِنا وَدارَت عَلَينا للخطوب فُنونُ
فَمِن عادة الأَيام ذلّ كِرامهـــــا وَلَكن سَبيل الصابِرين مُبينُ

لَئِن خانَنا الدَهرُ الَّذي كانَ عَبــدَنا فَلا عَجَبٌ إِن العَبيد تَخـونُ

وَما غَضَّ منَّا مَخبَري غَيْـرَ أَنَّــهُ تَضاعفَ إِيمانٌ وزَادَ يَقيــنُ[٣٦]

تتضح في هذه الأبيات نظرة ابن شِبْرِين إلى الدنيا وهوانها عنده بشكل جليٍّ ظاهر ينم على زهده, فيرى أن حال الدنيا مع العباد ما هو إلا لعب تتقلب فيه الأمور, فلا يدوم على حال لها شان، ومن عاداتها ذلٌّ الكرام بها, فلا ينبغي الانخداع بها, ويدعو إلى الصبر عليها ؛ إذ إن سبيل الصابرين واضح؛ لأن خيانتها أمر بديهي, وهنا يضرب المثل من خلال تشبيه الدنيا بالعبد الآبق الذي لا مبدأ له، فقد يخون سيده ويخرج عليه, وهنا يتجلى هوانُ الدنيا عنده، إذ ينزلها منزلة العبيد وهو السيد عليها مستلهمًا هذه السيادة من إيمانه القوي ويقينه بالله – جلَّ جلالُه – فما عنده خير من دنيا مصيرها إلى الزوال.

وهكذا نجد أن الأثر الديني عند ابن شِبْرِين يجعله زاهدًا في شعره لا يرجو من الدنيا سوى ما يعينه على التقوى والعمل الصالح, فتأتي نظرته إليها مشبعةً بالقناعة والاستغناء الذي يجعله لا يعبأ بمتاعها الفاني.

ثالثًا : الحكمة الدينية والعظة عنده.

عادةً ما يأتي شعر الحكمة من صاحب تجارب في الحياة, وقد جاءت الحكمةُ في الشعر العربي بشكل عام, كما وردت في العصر الأندلسي, وقد وشاع شعر الحكمة بين الفقهاءُ وأصحاب الدين, ولعل مكانة ابن شِبْرِين بين فقهاء عصره جعلت من شعره نصيبًا وفيرًا من الحكمة والعظة اتضح خلالها الأثرُ الديني, فجاءت أشعاره بسجية إسلامية اقتبس فيها المعنى من القيم الدينية, فجاءت في مواطن كثيرة عنده

عمَدَ فيها بجانب نقل تجاربه في الحياة إلى تقديم النصح والعظة, ومن ذلك قوله : [البسيط]

ما أغفل المرءَ عمَّا قد أُريد بـــه في كل يوم تناديهِ الرَّدى اقتَربِ[٣٧]

يسوق ابن شِبْرِين الحكمة فيتعجب من أمر الإنسان في الدنيا الذي يصفه بالغفلة والانصراف عن الحق والانشغال عمّا أراد الله منه, ثم يأتي بالحقيقة في ثوب حكيم مذكرًا بأن الموت يقترب مع مرور الأيام، ويشخص الموتَ مستعملًا الاستعارة المكنية، حيث شبه الموت (الردى) بإنسانٍ يتكلم وينادى غيرَه، ثم حذف المشبه به ورمزَ له بشيءٍ من لوازمه وهو النداء، ثم أسند النداءَ للرَّدَى على سبيل الاستعارة التخييلية، وهي قرينة المكنية، ولا يخفى ما في هذه الاستعارة من الإيحاء بحضورِ الموتِ دائمًا، وأنه في أيّ لحظةٍ ربما يباغتُ الإنسانَ أجلُه، وخليقٌ بمن يَعِي هذا أن يكون في استعدادٍ دائمٍ للقاء مولاه، وهذه هي الحكمة والنصيحة التي قصد إليها ابنُ شِبْرِين من وراء هذا البيت.

وفي التحلِّي بالصبر نجده يقول :[مجزوء الكامل]

قد كان ما قال البريدُ فاصبرْ فحزنكَ لا يفيدُ[٣٨]

تأتي الحكمة هنا في الدعوة الصريحة إلى التحلي بالصبر عند وقوع الحادث الجلل (الموت)؛ فالحزن الشديد لا طائل منه, ولذا وجب التسليم لمشيئة الخالق ﷻ , ومن ثم نراه يقول في بيت آخر من النص نفسه :[مجزوء الكامل]

ما للفَتَى ما يَبْتغِي فالله يفعَلُ ما يريدُ[٣٩]

تتمثل الحكمة في أن تجارب الحياة تُرِي أن المرء لا خيار لديه في الدنيا سوى التسليم لما يقدر الله –سبحانه وتعالى– فما يبتغيه الإنسان قد لا يناله, فحتمية إرادة الخالق لا مفر منها إلا إليه.

وليس معنى ذلك استسلامَ الإنسان وتواكلَه, ولكن الحكمة تدعو إلى التوكل، فما على المرء سوى العمل, وعلى الخالق جزاؤه, وهنا نجد ابن شِبْرِين يأتي بحكمة دينية أخرى يظهر فيها التوكل عندما قال :[مجزوء الكامل]

ولكلِّ شيء غايةٌ ولربما لان الحديدُ[٤٠]

يعبر في هذه الحكمة عن مسير الأشياء إلى زوال فيرى أن كل شيء في هذه الدنيا مهما طال في نهاية الأمر يصل إلى نهايته ومبتغاه, وهنا يستدعي صورة جمالية يظهر, فيعبر عن منتهى الغاية فيقول: أن الحديد رغم صلابته إلا أنه قد يلين.

ويلحظ أن شعر الحكمة لدى ابن شِبْرِين قد ارتبط بمعانٍ دينية وورد في سياقات كان مصدره فيها خبرتَه الحياتيةَ, وتجربتَه فيها التي اتخذ لها من الأثر الديني ملهِمًا, وعليه جاءت الحكمة متأثرة بالجوانب الدينية, وقيمِ الدين الإسلامي الحنيف.

رابعًا: معانٍ ومفاهيمُ إسلاميةٌ أخرى

وردت في أشعار ابن شِبْرِين سياقات متنوعة تطرق فيها إلى معانٍ ومفاهيمَ إسلاميةٍ كثيرة وضَّحت مدى تأثر الشاعر بالوازع الديني في قصائده؛ فجاءت معانٍ تدل على حب النبي ﷺ , كما جاءت مفاهيم أخرى متعلقة بمناجاة الخالق ﷻ , وكذلك وردت في مواطن أخرى الإشارةُ إلى العلوم العقلية والنقلية, كما عبَّر ابنُ شِبْرِين أيضًا عن أمورٍ أخرى تعلقت بالقضاء والقدر, ومن هذه المعاني وتلك المفاهيم قوله في الاستغفار: [الكامل]

أَستغفرُ الرحمنَ لا أَنساك ما لم أُطْوَ في شقّ الضريح وأُرْمَسِ[٤١]

يعبر ابن شِبْرِين في هذا البيت عن الوفاء لصديقه بأسلوب يظهر فيه الأثر الديني؛ إذ يستغفر الرحمن نافيًا عدم نسيانه لصديقٍ كان قد لقيه في تونس وهو هنا يقصد العالم الجليل التجاني الذي قال عن ابن شِبْرِين : " هذا الرجل من أعظم من رأيت تحقيقًا, وأحسنهم في النظم والنثر طريقًا, وقد كنت اجتمعت به في تونس"[٤٢], وعليه كتب ابن شِبْرِين قصيدة منها هذا البيت عليها صبغة دينية من ضمنها الاستغفار الذي يعد من أجل العبادات , ولكنه يوظفه في مقام الوفاء لصديقه بدوام التذكر إلى أن يدخل قبره بطريقة دلَّ فيها على حسن الصداقة ولكن بشكل يتجلى فيه الأثر الدينيُّ.

كما كان لمناجاة الله – تعالى – حيزٌ كبيرٌ في شعره , ففي غير موضع يتضح الأثر الديني عنده متمثلًا في مناجاة الخالق ﷻ طمعًا في الرضا والقبول, ومن ذلك قوله : [الكامل]

يا واحِدًا حَقًّا وَلَيسَ بِممكنٍ تَشبيهُهُ كَلّا وَلا تَخييلُهُ

أَنا ذَلِكَ العَبدُ الظَّلوم لِنَفْسِهِ زَلَّتْ بِهِ قَدَمٌ وَأَنتَ مُقِيلُهُ[٤٣]

يناجي الشاعر ربه – جلَّ في علاه– متذللًا له بقوله: يا واحدًا فيثبت له الوحدانية, ثم يقر بتنزيهه عن مشابهة الحوادث وعدم إمكان الإحاطة به, ثم يقر بالعبودية له ﷻ ويعترف بكثرة ظلمه لنفسه فيتضرع للخالق طمعًا في القبول فإن زلت قدمه في المعصية فلا ملجأ من الله إلا إليه, فهو يبدأ بالنداء في قوله (يا واحدًا) مثبتًا صفة الوحدانية للمنادى ﷻ تمهيدًا للاعتراف بظلمه لنفسه مستخدمًا صيغة المبالغة في قوله : (ظلوم) فهو صاحب ذنبٍ عبَّر عنه بقوله : (زلَّتْ به قدم) ، ومن ثم لا مفرَّ له إلا بعفو من الخالق – سبحانه وتعالى – , فالأثر الديني يتحكم في أسلوبه بطريقة تدل على حرصه البالغ على نَيْلِ رضا الله – تعالى – .

كما وردت المناجاةُ عنده في مقام طلب الرحمة والقبول, والفوز بالجنان في أسلوب يظهر فيه الطابع الديني في حنوٍ وتضرُّعٍ أملًا في الاستجابة, ومنه قوله : [مجزوء الرمل]

ربَّنـــا أَنت خَبيـــر بِخَفِيَّات الجَنـــانِ
وَيَداك الدَهـــرَ فينـا بِالنَّدى مَبسوطتـــانِ
وَمَجالُ العَفْـــوِ رَحْبٌ والرِّضَا غضُّ المَجاني
فَتَغمَّدنـــا بِرُحْمَـــى وَقَبُولٍ وَأَمـــــانِ
وَاِجمَع الشَّمْلَ عَلَى أَفْـ ـضَلِ حـال في الجنانِ[٤٤]

يبدأ الشاعر في هذه الأبيات مناجاته موظِّفًا لها أسلوبَ النداء المحذوفِ الأداة للدلالة على التقرب من الخالق – جلَّ في علاه –, ثم يستعمل صفاتٍ تظهر قدرة الخالق في تمام المعرفة بخفايا الصدور، فيطلب العفو والرضا والرحمة والقبول والأمان، ويختتم بطلب الوئام وجمع الشمل, وهنا يتطلع إلى أفضل الأحوال ولا شيء أفضل من دخول الجنة, وعليه فإنه ينظم في المناجاة بأسلوب سهلٍ، ويأتي بالألفاظ المقتبسة من وازعه الدِّينِيّ، والتي تبرهن على هذا الأثر بطريقة مباشرة.

وظَّفَ كذلك ابنُ شِبْرِين معانيَ أخرى ومفاهيم دينية أشار فيها إلى الأثر الديني، ومن ذلك الإشارةُ إلى العلوم العقلية والنقلية في قوله : [الكامل]

عهدٌ أُحيلتْ حالُهُ فاليوم لا مَعْقولُهُ منَّا ولا منقُولُهُ[٤٥]

جاء هذا البيت ضمن مطوَّلةٍ لابن شِبْرِين استدلَّ بها ابن الخطيب على مكانة الفقيه أبي بكر بن شِبْرِين الأدبية حين قال : " وله الأدب الذي تحلت بقلائده اللبات والنحور, وقصرت عن جواهره البحور"[٤٦] مبرهنًا على بديع نظمِه, ليوضِّحَ تأثرَ

الشاعر بالدين الإسلاميّ في أسلوبه الشعريّ؛ إذ يتحدث عن تقلب الأحوال والممالك، فيرى إذا ما عهد أحيل فلا حيلة لأحد سواء عقلية كانت أو نقلية فيدل على أسلوب أهل الفقه وفي استعمالهم للألفاظ الفقيه مثل العقل والقياس, والنقل من مصدري التشريع القرآن الكريم, والسنة المطهرة.

وذكر ابن شِبْرِين القضاء والقدر في سياق دعا فيه إلى التسليم به فلا راد لقضاء الله – سبحانه وتعالى –, مثله قوله : [مجزوء الرمل]

وَمَضَى حُكْمُ إلهٍ مَالَهُ فِي الْمُلْكِ ثَانٍ[٤٧]

يشير الشاعر إلى أن حكم الله نافذٌ لا محالة, وما على المرء سوى الرضا بالقضاء والقدر, وقد وظّف لذلك الفعل الماضي (مضى) للدالة على حدوث الفعل وانقضائه, ومن ثم نجد في الشطر الثاني التأكيدَ على أن المُلك لله فلا مَلك غيره يشركه في مُلكه, فهو يستدعي الأثر الديني هنا ليناسب الغرض الرئيس من النص، وهو رثاء أحد سلاطين ملوك بني نصر – محمد بن إسماعيل – موضحًا للمتلقي أن الملوك زائلون ولكن ملك الله باقٍ فهو ملك الملوك.

وقد وضح الأثر الديني عند ابن شِبْرِين في غرض الرثاء خاصة في مقام الدعاء إلى الميت ؛ حيث استعمل اللفظ الإسلامي عند التوجه إلى الله بالدعاء للمتوفى, ومنه قوله : [مجزوء الرمل]

أَنتَ مِـــــنْ رَحمـةِ غَفَّـا رِ الخَطايا فِي ضَمَانِ

وَهْوَ مُوفي الخَصْمِ إنْ شَـا ء وِزَانًا بِـــــــوِزَانِ[٤٨]

يدعو للميت فيستدعي صفات الرحمة والمغفرة من الله للعباد, فيتوجه بالخطاب إلى المتوفى وأن ضمانه بعد الموت كونه في رحمة الله ومغفرته، فمتي تحقق

ذلك كان في أمان, فسبحانه وحده يتوفى الأنفس متى شاء ، فكل عبد يوفى حقه ولكن تبقى رحمة الله ومغفرته هي ميزان كل شيء.

ومن المعاني التي اتضح فيها الأثر الديني جليًّا المديحُ النبويُّ, وقد جاء عند ابن شِبْرِين في مواضع كثيرة, منها قوله : [الكامل]

وَوَعاه عَنهُ مُصطَفى مُتَخيّر صَحّتْ رِسالتُهُ وَصُدّق قِيلُهُ

فَلَشدّ ما قَد أَحسَنا في أَمرهِ هَذا محمّدُهُ وَذا جِبريلُـــهُ[٤٩]

يظهر الأثر الدني في مدحه للمصطفى ﷺ فيجلّ من تبليغه الرسالة, وحمله للقرآن الكريم وحفظه, مثنيًا عليه ﷺ بصدق حديثه, مصرحًا باللفظ الشريف والمبلغ الأمين في قوله : (هذا محمده) ومضيفًا الحمد من قِبل النبي – عليه أفضل الصلاة والسلام – للمولى ﷻ .

وقد جاء المديح النبوي عن ابن شِبْرِين في سياقٍ أظهرَ فيه الحبَّ الصادق للحبيب المصطفى ﷺ فقال: [الطويل]

أَلا يا مُحِبَّ المُصطَفى زِدْ صَبابَةً وَضَمِّخ لِسانَ الذكر منك بِطيبهِ

وَلا تَعبأن بِالمُبطلين فَإِنَّمـــــا عَلامَـةُ حُبّ الله حبُّ حَبيبـهِ[٥٠]

في أسلوب طلبيٍّ بديع يعبر ابن شِبْرِين عن حبه للنبي ﷺ ، فيطلب من محب المصطفى ﷺ أن يزداد في حبه, ويكثر من الذكر ولا شك أن أفضل الذكر في هذا المقام الصلاة والسلام عليه، فبهذا الذكر يطيب اللسان, ثم ينتقل في البيت الثاني ولا يزال الأسلوب الطلبي منهجه فينهى عن الإنصات للمبطلين مضمنًا ذلك بنتيجة لا يشك في حتمية وقوعها أن علامة حب الخالق ﷻ هي حب نبيه وحبيبه محمد ﷺ .

خامسًا : الأثر الديني في لغته والشعرية وأساليبه الإنشائية:

- **الأثر الديني في لغته الشعرية:**

تُوظَّفُ اللغة في العمل الأدبي عامة, والشعري بوجه خاص لتمثل مادته الخام التي يلجأ إليها المبدع لنظم نصه, فهي جسر التواصل بين المؤلف والمتلقي ولكن ليس كأي لغة؛ فلابد لها من ثقافة تدعمها واختيار لفظ يظهر جمالها الفني " فلغة الشاعر المجردة لا تستطيع التغريد في النص متفردة, فتستوعب المضمون دون حاجة إلى ثقافة لغوية تتسم بفهم وإلمام لعملية تزيين وبنى فنية من شأنها إخراج البنى اللغوية من حالة الجمود في اللغة العادية إلى أخرى فنية"[٥١], وكلما استطاع الشاعر توظيفَ آلياته اللغوية بطريقة فنية سليمة وصحيحة استطاع أن يؤثر في المتلقي, خاصةً أن لغة الشعر تختلف عن اللغة العادية ؛ حيث إن لغة الشعر تعتمد على المقومات الفنية ومعايير الجمال التي تخرجها من نطاقها العاديّ إلى نطاقٍ أرحبَ يأسر لُبَّ المتلقي, ويمتلك وجدانه، فالنص " إبداعٌ يتفاعل مع اللغة وينسجم معها من خلال تحرُّكٍ غيرِ مقيد في فضاءات لا تُحَدُّ"[٥٢], ويتوقف ذلك على مدى امتلاكه ناصية تلك اللغة داخل نصه، فألفاظ الشعراء لها طابعها الخاص فهي " ألفاظ معروفة, وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها, ولا يستعمل غيرها "[٥٣].

كما تتأثر اللغة المستعملة في النص الشعري بمصادر الشاعر في تكوين مفردات لغته، سواء كان مصدرها دينيًّا , أو اجتماعيًّا, أو سياسيًّا, أو غيرها مما تمليه عليه بيئتُه من مجالات الحياة المختلفة التي تشكِّلُ وَعْيَه.

وعند النظر إلى شعر ابن شِبْرِين نجد أن الثقافة الدينية لها الغلبة على لغته الشعرية, وقد ظهر هذا الأمر بوضوح فيما سبق, وورد هذا الأثر وفق مستويات مختلفة, فجاء على مستوى التأثر باللفظ المفرد, والتأثر بالجمل المركبة متمثلة في الاقتباس, أو

التناص مع القرآن الكريم, والسنة النبوية المشرفة, ويمكن النظر إلى اللغة الشعرية والأثر الديني عند ابن شِبْرِين من خلال ما يأتي :

١- الأثر الديني على مستوى اللفظ المفرد :

ورد هذا الأثر لدى الشاعر في مواطن كثيرةٍ عبَّر خلاله عن مضامينَ في موضوعاتٍ شتَّى قصد من وراءها دلالاتٍ لا تكاد تخرج عن معناها الدينيّ، وكان السياق خيرَ معين على فهمها, ومن ذلك قولُه : [الكامل]

حَسبي إذا رمت الأنيس مُؤنسٌ مِن رَبّنَا سُبحانه تَـنـزيـلُـــــــهُ

تَبدو الحَقائق لـــــي إذا رَتّلتُه يا حَبَّذَاه وَحَبَّــذا تَرتيُلـــــــهُ

يَبلى الزَّمان وَمـــا يَزال مُجَدَّدًا لا نَصُّهُ يَبْلَى وَلا تَأوِيـلُـــــــهُ

أَعْظِـــمْ بِهِ لِلمُؤمنين مفصّلًا فَرقَ الضَلال مِن الهَوى تَفصيلُهُ

نالَ الهُدى وَالبِرَّ حاملُه كَمـــا نالَ الكَرامَة وَالعُلى مَحمولُـــــهُ

أَدّى أَمانَتَه أَميـــــنٌ ناصحٌ في السِّدرة العَلْياء طابَ مَقيلُــهُ[٥٤]

تسيطر على الأبيات السابقة الألفاظُ المستقاة من اللفظ الدينيّ , ولعل هذا ما يُلحظ في الكلمات الآتي : (ربنا – سبحانه – تنزيله – رتلته – ترتيله – نصه – تأويله – للمؤمنين – مفصّلًا – الهدى – تفصيله – البرّ – كرامة – أمانته – أمين – ناصح – السدرة) وهي ألفاظ في جملتها وردت بطريقة سلسة سهلة معبرة عن المضمون، وفيها من الوضوح ما يجعلها خفيفة الوقع على الآذان، ولا غرابة فيها، وقد دلَّ الشاعر من خلالها على تملك الوازع الديني في لغته الشعرية .

ومن ذلك أيضًا قولُه في مقام الدعاء : [مجزوء الرمل]

وبحسبي دعوات أنا فيها ذو افتنان

بت أهديها إليـه بعد ترتيل المثانـي[٥٥]

ويظهر التأثر الديني في استعمال الألفاظ في البيتين السابقين في قوله : (ترتيل المثاني)؛ حيث يرمز الشاعر هنا إلى ترتيل القرآن الكريم ويخص بالذكر سورة الفاتحة في قوله : المثاني.

٢- التناص الديني في شعره:

أما على مستوى التركيب والجمل فإن المتصفح لشعر ابن شِبْرِين يلحظ ظاهرة الاقتباس من القرآن الكريم والسنة النبوية, ولم يكن ابن شِبْرِين مجدِّدًا في ذلك الأسلوب، فالتناص ظاهرة عُرفت في الشعر العربي كثيرًا؛ إذ إن التناص يعبر عن تأثر الشاعر بنص آخر، فيعمِد إلى استدعاء ألفاظه ومعانيه في نصِّه الجديد بطريقة يلحظها المتلقي فظاهرة التناص " يعاد فيها اكتشاف الماضي, أو قراءته في ضوء الحاضر, للتعبير عن خصوصية المبدع في تعبيره عن الواقع "[٥٦], فهو بمنزلة إعادة النص الآخر في ثوب جديد, ومن النقاد مَنْ يرى أنَّ " النص الأدبي غيرُ قائم بذاته, وأنَّه لا يعدو أن يكون إشارةً فنية مفتوحة على نصوص سابقة أو لاحقة"[٥٧] مشيرًا بذلك إلى أن التناص أمر واقع داخل أي عملية إنتاجية جديدة لنص أدبي.

وقد ورد التناص عند النقاد العرب بأسماء مختلفة فأشاروا إليه بالاقتباس وعُرِّف بأنه " أن يُضمَّنَ الكلامُ نثرًا أو شعرًا شيئًا من القرآن الكريم أو الحديث الشريف"[٥٨], كما أطلقوا عليه التضمين، ويقصدون به " أن يضمن الشاعر شعره بيتًا من شعر الغير مع التصريح بذلك إن لم يكن البيت المقتبَس معروفًا للبلغاء"[٥٩], أي أن التناص هو الاقتباس والتضمين.

وردت عدة تعريفات للاقتباس عند النقاد القدامى، ومن ذلك تعريف الرازي : "هو أن تدرج كلمة من القرآن أو آية منه في الكلام تزيينًا لنظامه وتضخيمًا لشأنه "[٦٠] ، وعرفه شهاب الدين الحلبي بقوله : " هو أن يضمِّنَ الكلامَ شيئًا من القرآن أو الحديث ولا ينبه عليه للعلم به "[٦١].

وبمطالعة شعر ابن شِبْرِين نجد أن التناص قد ورد عنده بكثرة سواء مع القرآن الكريم, أو مع السنة النبوية المشرفة، وقد عكس الشاعرُ من خلاله قيمًا إسلامية كان السياقُ الموضحَ لمعانيها, فمن التناص مع القرآن الكريم قولُه : [البسيط]

هانَتْ عَلَى نَفسِيَ الأَرزاءُ بَعدَهُمُ فَلَستُ آسى عَلى شَيءٍ إِذا فاتا[٦٢]

فهنا يقع التناص في قول الشاعر : " أسى على شيء إذا فاتا" مع قوله تعالى: "لِكَيْ لا تَأْسَوْا عَلَى مَا فاتكم"[٦٣] مبينًا من خلال التناص هوانَ الأمورِ عنده، فلا يأسى على شيء.

كما ورد التناصُّ القرآنيُّ أيضًا في قوله : [مجزوء الكامل]

ما لِلْفَتَى ما يَبْتَغِي فاللهُ يَفْعَلُ ما يريدُ[٦٤]

وهنا نجد التناصَّ في قول الشاعر: " فالله يفعل ما يريد" مع قوله تعالى : " ... وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ"[٦٥], وكذلك مع قوله تعالى : " إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ"[٦٦] , حيث يوضح الشاعر من خلال هذا البيت أن الأمر كله بيد الله – سبحانه – يفعل ما يريد فما على المرء سوء التوكل.

كذلك يُلحظ التناص عنده في قوله : [الكامل]

قف عِندَها خَيلَ الدُموع وَرجلَها وَإِندُب شَبابًا شَطّ عَنكَ رَحيلهُ[٦٧]

يتناص الشاعر هنا مع قوله – تعالى– : " وأجلبْ عليهم بخيلك ورَجِلك "[٦٨].

كما وظّف ابن شِبْرِين التناص القرآني في مقام الفِراق في قوله : [الطويل]

أفي كل عام رحلةٌ بعد رحلةٍ لقد أتعبتنا رحلة الصيف والشتا[٦٩]

يتجلى التناص في قول الشاعر : " رحلة الصيف والشتا" مع قوله – تعالى – "... رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"[٧٠] معبرًا عن تعب الفراق وتَكرار رحلته, كما يفعل العرب كل عام في رحلتي الصيف والشتاء؛ ليشير إلى ديمومة الفراق وردة فعله من التعب.

أما التناص مع الحديث الشريف فقد ورد عنده ولكن نسبة شيوعه في شعره لم تكن كنسبة شيوع التناص مع القرآن الكريم, فلا نكاد نظفر عنده إلا بموضعين فقط, الموضع الأول في قوله : [مجزوء الرمل]

إن ألمَّتْ هيعةٌ طا　　ر إليها غَير وَان[٧١]

جاء التناص في قول الشاعر : " ألمت هيعة طار إليها " مع قول النبي ﷺ : " خيرُ مَعايشِ النَّاسِ لَهُم ، رجلٌ مُمسِكٌ بعَنانِ فرسِهِ في سبيلِ اللَّهِ، ويَطيرُ على مَتنِهِ ، كلَّما سمعَ هيعةً أو فزعةً ، طارَ عليهِ إليها ...." [٧٢].

والموضع الثاني في قول الشاعر : [الطويل]

ولي نيَّة ما عشتُ فِي حِفظ عهدهم　　إلى يومِ أَلْقاهم وللمرءِ ما نوى[٧٣]

يأتي التناص في قول الشاعر : " وللمرءِ مع نوى " مع قول النبي ﷺ في حديثه الشريف : " إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى..."[٧٤] , مشيرًا بذلك إلى حسن نيته في حفظ العهد إلى آخر يوم في حياته.

فاستخدام ابن شِبْرِين لظاهرة التناص على هذا النحو يبرز الأثرَ الدينيَّ في شعره خاصة أن استعماله له في مضامين متعددة قصد من واراءها الاستشهاد بالنص الديني من القرآن والسنة تدعيمًا لموقفه في السياق في شكل جمالي يقنع به المتلقي.

- **الأثر الديني وعلاقته بالأساليب الإنشائية :**

عادةً ما يوظِّفُ الشعراءُ الأساليبَ الإنشائية في قصائدهم؛ وذلك لما تحمله من دلالات تساعد في توضيح المعنى، ولكن بشكل يثير الذهن ويؤثر في المتلقي, خاصةً لما تمتلكه هذه الأساليب من تنوع يعطي لها هدفًا ساميًا للشاعر في نصه يستطيع من خلاله التعبيرَ عمّا يصبو إليه, فتكون ملهمة للمتلقي في عملية تلقي النص ومعايشته.

وقد تنوعت الأساليب الإنشائية عند ابن شِبْرِين، خاصة تلك التي تحمل الطابع الديني عنده، فقد اتضح فيها تأثر الشاعر بالجانب العقائدي, إذ وظَّفها بطريقة جمالية كان لها باعٌ كبير في توضيح المضمون, وقد وردت هذه الأساليب عنده وفق تراكيبَ متنوعةٍ في المضمون الواحد بِنِسَبٍ متفاوتة من حيث التوظيفُ الكمِّيُّ للمضمون الواحد عنده, ويمكن حصر صور توظيف الأساليب الإنشائية التي يظهر فيها الأثر الديني عند ابن شِبْرِين على النحو الآتي :

١- ما ورد فيه أسلوب إنشائي واحد للمضمون الواحد:

كثر عند ابن شِبْرِين توظيفُ أسلوبٍ إنشائي مفرد للتعبير عن المضمون الديني , ونوَّع في هذا الأسلوب ما بين (الأمر , والاستفهام , والنداء , والندبة)، وقد حملت هذه الأساليب دلالاتٍ كشف عنها السياق, ومن ذلك قوله موظِّفًا الأمر : [مجزوء الكامل]

قد كان ما قال البريدُ فاصبرْ فحزنكَ لا يفيدُ[٧٥]

يستعمل الشاعر الأسلوب الإنشائي في قوله : (اصبر) طلبًا للصبر عند الشدائد خاصةً في مقام الموت؛ إذ إن الحزن لا طائل منه غير التعب والنصب, لذا يستعمل الطلب بالأمر للصبر على مثل هذا الحادث الجلل.

كما وظَّفَ هذا الأسلوب بواسطة لام الأمر في مقام التعبير عن الأخلاق الإسلامية, ومن ذلك ما نجده في قوله : [الطويل]

لتبكِ عيونُ الباكيات على فتىً كريم إذا ما أسبغ العـرفَ أجزلا[76]

وهنا يأتي بالأسلوب الإنشائي (الأمر) في قوله : (لتبك) موظِّفًا له لامَ الأمر للتعبير عن الحزن الشديد لفقد صاحب خُلق دعا الإسلامُ إلى التحلي به وهو الكرم والعطاء, ومن ثم يطلب من الباكيات أن يكثرن البكاء لفقد مثل هذا الخُلق.

ومن الأساليب المفردة أيضًا توظيفُه للاستفهام في مقام التعبير عن الزهد ونظرته للحياة, إذ يطلب ترك متاع الدنيا وملذاتها وأن يستبدل بها الإنسانُ القناعةَ بما لديه , كقوله : [البسيط]

ما ضَرّ لَما رَأَيتَ الصالِحين بِها لَو كُنت تَقنع مِنها بِالَّذي قَنِعوا[٧٧]

يأتي الاستفهام هنا في قوله : " ما ضرَّ " في دعوة منه إلى الاقتداء بالصالحين في التحلي بالقناعة والزهد في الحياة مستنكرًا أي ضرر يلحق بهم جراء قناعتهم.

وقد ورد عنده النداء في مقامات دينية كثيرة, ولعل أظهرها مناجاة الله – تعالى – بصفاته طلبًا للتقرب منه – سبحانه – , ومن ذلك قولُه : [مجزوء الرمل]

ربَّنـــا أَنت خَبيـــر بِخَفِيَّاتِ الجَنـــانِ
وَيَداك الدَّهـــرَ فينـا بِالنَّدى مَبسوطتـــانِ[٧٨]

يستعمل الشاعر في هذا السياق النداءَ في قوله : " ربنا " مصرحًا بالمنادى, حاذفًا أداة النداء تقربًا للمولى ﷻ فيطلب الصفح، وهذا ما يعبر عنه في البيت الثاني باليد المبسوطة والندى.

كما استعمل ابن شِبْرِين النداء في غرض الرثاء المصحوب بذكر صفات المتوفى، تلك الصفات التي يستخدم لها الخُلقَ الإسلاميَّ، مما يدل على تأثرِه بالوازع الديني, وذلك كقوله : [الطويل]

فيا أيُّها المَيْتُ الكريمُ الذي قَضَى سعيدًا حميدًا فاضلًا ومفضَّلا[٧٩]

يوظِّفُ الشاعرُ الأسلوبَ الإنشائي في قوله : " يا أيها الميت" فينادي الميت بطريقة مجازية يهدف من وراءها إلى إظهار صفاته، كالكرم والفضل الوفير؛ ليعطيَ للمتلقي انطباعًا يبين من خلاله مكانةَ المتوفَّى, ومن ثم نراه في البيت التالي يأتي بالأسلوب الإنشائي موظِّفًا فيه لام الأمر فيقول :

لتهنكَ من ربِّ السماءِ شهادةٌ تُلاقي بِبُشرى وجهَكَ المُتَهَلِّلا[٨٠]

في إشارة نصية يستعمل فيها أسلوب الأمر في قوله :" لتهنك" يوضح الشاعر تمني الخير للمتوفى في الحياة الآخرة, وأن يلاقي ربه ببشرة تسعده, ووجه فرح متهلل.

كذلك نجد أن ابن شِبْرِين يوظّف الندبة في مواضع كثرة من شعره بطريقة يظهر فيها الأثر الديني نحو قوله : [البسيط]

يا ويحَ نفسي لأنفاسٍ مَضَت هَدَرًا بين البطالة والتَّسويــف واللَّعبِ[٨١]

تظهر النُّدبة في قوله : " يا ويح نفسي" للدلالة على التحسُّرِ على الوقت الذي ضاع في طلب الحياة الدنيا ما بين بطالة وتأجيل ولعب، ويرى أن مثل هذه الأوقات قد ضاعت هدرًا دون فائدة, ومن ثم نجده يوظِّفُ أسلوبَ الندبة أسفًا وندمًا على ما قد ولَّى وانقضى.

٢-ما جاء فيه أسلوبان للمضمون الواحد:

وهنا يوظِّف ابن شِبْرِين أسلوبين إنشائيين للتعبير عن مضمون واحد، ويحمل كل أسلوب دلالة تساعد على إبراز المعنى, وبيان الأثر الدينيّ عنده, ومنه توظيف النداء والأمر في قوله :[البسيط]

يا عَينُ سِحّي بِدَمعٍ وَاكِفٍ سَرِبِ لِحامل الفَضل وَالأخلاق وَالأَدَبِ[٨٢]

يأتي الأسلوب الإنشائي متمثلًا في النداء في قوله : " يا عين " , وكذلك في الأمر في قوله : "سِجّي" , وكلاهما أسلوب إنشائي يستعمله الشاعر في مقام التعبير عن الأخلاق الإسلامية للميت التي تجعله يطلب من العين استمرارية البكاء بغزارة دون توقف لفقد تلك الخصال التي كان يتمتع بها المتوفى؛ لذا نجده يأتي بالأسلوب الآخر الأمر في قوله : " سِجّي" على سبيل الاستعارة فالفعل يستعمل للمطر أكثر، ولكن يأتي به في هذا المقام بصيغة الأمر دلالة على طلب كثرة الدموع، مما يعكس مدى حزنه الشديد على الميت الذي حاز الأخلاق والفضائل .

وقد يرد الأمر مع التعجب, كقوله :[البسيط]

قُلْ فيه إما تَصِفُ رُكْنًا لمُنْتبذِ رَوْضٍ لمُنْتَجعِ أُنْسٍ لمُغْتَرَبِ[٨٣]

يعبر الشاعر عن خصال ابن عبدالواحد البلوي وخلقه الإسلامي الرفيع فيأتي بالأسلوب الإنشائي في صورتين (الأمر, والتعجب) في قوله : "قُلْ فيه إما تَصِفُ..." فيمدحه بحسن الخُلق الذي يطلب من متلقيه مشاركته الاعجاب بهذه الأخلاق.

كما وظّف الأمر – أيضًا – مع الاستفهام, ومنه في أحوال الأيام قوله:[البسيط]

وأيّ حالٍ على الأيام باقيةٍ فبادرِ السيرَ واعلم أنها قُلع[٨٤]

يشير في هذا البيت إلى حكمة مفادها طلب السير والعمل دون الاهتمام بمجريات الأيام المتقلبة فحال الأيام من المحال دوامه, ويوظّف الأسلوب الإنشائي الاستفهام في قوله : "أيّ حال " , والأمر في قوله : " بادر السير", وذلك أثناء حديثه عن النصح والإرشاد والنظرة إلى الدنيا بعين الاعتبار فيطلب من المتلقي ألا تغره, وأن يسرع إلى ما ينفع فدوام الحال من المحال.

وقد يأتي الأسلوب الإنشائي متخذًا من الاستفهام والندبة سبيلًا للتعبير عن القضاء والقدر, فيدعو الناس إلى التسليم بقضاء الله وقدره, ومن ذلك ما جاء في قوله:[مجزوء الكامل]

أعَلى قديمِ الملكِ يا ويلاهُ يَعْترضُ العَبيدُ[٨٥]

وهنا يُلحظ الأسلوبين الإنشائيين الاستفهام في قوله : " أعَلى", والندبة في قوله : " يا ويلاه" فيستنكر بذلك الاعتراض على قدر الله فيأتي بالاستفهام التوبيخي المصحوب بالندبة الدالة على التحسر على آل إليه حال الناس, في دعوة منه إلى الإيمان بقضاء الله وقدره وعدم الطير والجزع.

كما وظَّفَ القسَمَ والشرط أيضًا في غرض ديني للتعبير عن الرضا والتسليم بما قد يفعل الدهر بالإنسان, كقوله : [الطويل]

لَئِن خانَنا الدَهرُ الَّذي كانَ عَبدَنا فَلا عَجَبٌ إِن العَبيد تَخـونُ[٨٦]

من خلال أسلوب إنشائي بديع يأتي ابن شِبْرِين بالقسم الممزوج بالشرط في قوله : " لئن" للتعبير عن زهده في الحياة, وهوان الدنيا في نظره فيقسم, ومن خلال الشرط يبين أن ما يحدث في الدينا من أمور يمثلها بخيانة الدهر له فلا خير ولا عجب فما الدنيا في نظره إلا كالعبد الآبق إن أتى بنقيصة فهذا طبعه, مما يؤكد هوانها عنده وعدم العبء بملمات الزمان التي يراها كالخائن الذي لا يستحق العجب ولا الوضع في الاعتبار.

٣- ما استعمل فيه ثلاثة أساليبَ أو أكثرَ للمضمون الواحد

ومن المضامين ذات الأثر الديني التي وظَّفَ لها ابن شِبْرِين أكثر من نوعين للأسلوب الإنشائي قولُه في مقام المديح النبوي : [الطويل]

أَلا يا مُحِبَّ المُصطَفى زِدْ صَبابَةً وَضَمِّخْ لِسانَ الذكر منك بِطِيبِهِ

وَلا تَـعبأنْ بِـالمُبطِلِين فَإنَّمـــــا عَـلامَـةُ حُبِّ الله حبُّ حَبيبـهِ[٨٧]

يستعمل الشاعر الأساليب الإنشائية المتنوعة في مدحه للحبيب المصطفى ﷺ فيأتي بالطلب للحث على ديمومة الذكر، فاللسان يطيب به، ويطلب كذلك ألا ينظر المرء للمبطلين، فالله يحب من أحب حبيبه ﷺ , وهنا يوظف الشاعر عدة أساليب إنشائية ينوّع فيها بين النداء كما في قوله : " يا محب المصطفى " , والأمر كما في " زد – ضمّخ" , والنهي في : " لا تعبأنْ " , وعليه فالنداء يأتي بإطلاق صفة المنادى " محب المصطفى " للدلالة على هذا الحب الصادق، فالخطاب موجَّه إلى المُحِبِّ لا إلى غيره، فالمُحِبُّ يُرجى عنده الصدق، فمثله يستطيع تنفيذ طلبه الثاني في قوله " زد صبابة", وكذلك " ضمّخ لسانك" وكلاهما يزيد من درجة الحب, ثم يأتي بالنهي في قوله : " لا تعبأن" طلبًا بعدم النظر إلى هؤلاء المبطلين لصنيع الحب . معللًا ذلك بالقصر في قوله : " إنما" علامة رضا الله – تعالى – وحبه للعبد أن يكون حال العبد حب حبيبه النبي – صلى الله عليه وسلم–, ومن ثم نجد أن توظيف الأساليب الإنشائية كان خير معين في البيتين السابقين للتعبير عن الحب النبوي من قِبل ابن شِبْرِين, مما أعطى انطباعًا على أهمية الأثر الديني في شعره.

ومما سبق يتضح أن الأثر الديني في شعر ابن شِبْرِين قد كان له وجود ملحوظ, وظّفه الشاعر في مضامين عديدة, وأغراضٍ شعرية كثيرة دار جُلها حول أمور تتعلق بالزهد ونظرته للحياة, فوجد نفسه في سياقات كثيرة يتقلد صفة الحكيم الذي وجب عليه تقديم خبرته في الحياة للناس تلك الخبر التي تستقي مفاهيمها من تعاليم الديني الإسلامي, فانتشر عنده شعر الحكمة الدينية خاصة في مقام الرثاء والمقارنة بين الدنيا والآخرة, وكأن يريد أن يقول كفى بالموت واعظًا, ثم كان للأخلاق الإسلامية نصيًا واضحًا ساعد في التعبير عن الأثر الديني عنده , ولم يغفل توظيف المديح النبوي في سياقات اعتمد فيها على إظهار عاطفة الحب فرقت فيها ألفاظ, تلك الألفاظ التي ظهر فيها الأثر الديني متمثلًا في التناص مع القرآن والسنة والنبوية, كما أن تنوع الأساليب عنده أسهم بشكل كبير في توضح هذا الأثر.

نتائج البحث :

بعد البحث والدراسة في موضوع " الأثر الديني في شعر ابن شِبْرِين الأندلسي (ت : ٧٤٧هـ)" توصلت إلى نتائجَ يتضح من خلالها هذا الأثرُ عند شاعرنا, ولعل أهم هذه النتائج ما يأتي :

- أكثر ابن شِبْرِين من الحديث عن الأخلاق الإسلامية بأنواعها المختلفة فتناول أغراضه الشعرية بشكل ظهر فيه تمسُّكُه بالخُلق الإسلامي القويم، خاصةً في شعر الرثاء.
- ورد شعر الحكمة عنده متأثرًا بثقافته الدينية, حيث أثرت عليها روح الفقيه التي يتحلى بها, فأوردها في شكل نصح ووعظ للناس، ونقل من خلالها تجاربَه في الحياة إلى المتلقي.
- جاء الأثر الديني جليًّا في شعر الزهد عنده، وتمثل في نظرته إلى الدنيا بعين القناعة طمعًا في الآخرة .
- عبر ابن شِبْرِين في شعره عن معانٍ ومفاهيمَ إسلاميةٍ كثيرةٍ، كان أهمُّها ظاهرةَ الاستغفار, والرضا بقضاء الله وقدره, وكذلك المديح النبوي الذي ظهر فيه حبه الشديد للنبي ﷺ .
- جاءت لغة ابن شِبْرِين الشعرية متأثرةً باللفظ الدينيّ, وظهر فيها الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف, مما أعطى شعرَه صبغةً إسلاميةً واضحة .
- نوَّع ابنُ شِبْرِين في توظيف الأساليب الإنشائية بشكل يخدم السياق, ودارت دلالةُ هذه الأساليب حول توضيح النزعة الدينية عنده.

حواشي البحث:

[1] لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٣٩ /ج ٢, تحقيق : محمد عبدالله عنان، ط١, مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ , ٢٠٠٣م.

[2] علي بن عبدالله بن محمد بن محمد بن الحسن المالقي الأندلسي : تأريخ قضاة الأندلس ص١٥٣, تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي, ط ٥, دار الآفاق الجديدة, بيروت لبنان ١٤٠٣هـ , ١٩٨٣م.

[3] د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين, ص ٤٣٦ , ج٦, ط١, دار العلم للملايين ,بيروت , لبنان , ١٩٨٢م.

[4] أبو الحسن النباهي: تأريخ قضاة الأندلس ص١٥٣

[5] د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين, ص ٤٣٦ , ج٦

[6] لسان الدين ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٣٩: ٢٤٠ /ج٢.

[7] أبو الحسن النباهي: تأريخ قضاة الأندلس ص١٥٣

[8] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة, ص١٦٦, تحقيق د. إحسان عباس, ط , دار الثقافة , بيروت , لبنان, ١٩٨٣م.

[9] لسان الدين بن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة النصرية ص٥١ , تحقيق : محب الدين الخطيب , المطبعة السلفية , القاهرة , مصر , ١٣٤٧هـ .

[10] الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب : ص٥٤١, ج٥ ,تحقيق : د.إحسان عباس ,دار صادر ,بيروت , ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م .

[11] نفسه ص٥٤٣/ ج٥.

[12] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص٢٤٩/ج ٢.

[13] أبو الحسن النباهي : تاريخ قضاة الأندلس ص١٥٣.

[14] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص٢٤١/ج ٢.

[١٥] د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين, ص٤٣٦/ج٦

[١٦] نفسه ص٢٤٠/ج٢ .

[١٧] لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٤٦/ج٢.

[١٨] د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين, ص٤٣٦/ج٦.

[19] المقري : نفح الطيب ص٥٤١ :٥٤٢/ج٥

[٢٠] لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٢٢/ج٣

[٢١] نفسه ص٢٢٢/ج٣

[٢٢] لسان الدين بن الخطيب: الكتبية الكامنة ص١٧١.

[٢٣] لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٩٧/ج١.

[٢٤] نفسه ص٩٧/ج١ .

[٢٥] الإمام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء ١ / ٨٨ ، دراسة وتحقيق: أحمد محمد عبدالرحمن محمد محمود، مطبعة المحمودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م. ، إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس١ / ٧٢ ، ٧٣، أشرف على طبعه: أحمد القلاش، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

[٢٦] أبو الحسن علي الحسني الندوي : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام ص١٧ : ١٨, ط ١, طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

[٢٧] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في اخبار غرناطة ص ٢٢٢/ج٣.

[٢٨] نفسه ص ٢٢٢/ج٣.

[٢٩]الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري : الأدب المفرد ص ٢٢٩ برقم ٨٩١ ، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٥هـ / الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير ٣ / ٥٠٦ ، ٥٠٧ برقم ١٩٥٦، تحقيق: د.بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

[٣٠] المقري : نفح الطيب ص ٢٥٢/ج٦.

[٣١] نفسه ص٥٤٢/ج٥.

[٣٢] لسان الدين بن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة الناصرية ص٨٦

[٣٣] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص٢٢٢/ج٣

[٣٤] نفسه ص ٢٢٣/ج٣ وفيه : (مُلِّيتَ) بدل (مَلِلْتُ).

[٣٥] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص١٧٠

[٣٦] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٤٦/ج٢.

[٣٧] نفسه ص٢٢٢/ج٣

[٣٨] المقري : نفح الطيب ص ٢٥١/ج٦.

[٣٩] نفسه ص٢٥٢/ج٦.

[٤٠] نفسه ص٢٥٣/ج٦

[٤١] أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني : رحلة التجاني قدّم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبدالوهاب ص١٦٦, طبعة الدار العربية للكتب, ليبيا / تونس ١٩٨١م.

[٤٢] نفسه ص١٦٤.

[٤٣] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ١٦٧.

[٤٤] لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ص٣٠٤ /ج٢ تحقيق أ. ليفي بروفنسال ,ط٢ , طبعة دار المكشوف, بيروت, لبنان , ١٩٥٦م.

[٤٥] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ١٦٧.

[٤٦] نفسه ص١٦٧.

[٤٧] نفسه ص٣٠١

[٤٨] نفسه ص٣٠٤.

[٤٩] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص١٦٨.

[٥٠] المقري : نفح الطيب ص٤٥٥/ج٥

[٥١] د. محمود سليم : تحولات النص الشعري من التراث إلى ما بعد الحداثة تنظيرًا وتطبيقًا ص١٢٧ :١٢٨ ,ط١ , طبعة دائرة الثقافة, حكومة الشارقة, الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٢١م.

[٥٢] د.أحمد عفيفي : نحو النص ,اتجاه جديد في الدرس النحوي ص٤٧ ,ط١ , مكتبة زهراء الشرق – القاهرة –مصر – ٢٠٠١م .

[٥٣] الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر , وآدابه , ونقده ص١٢٨/ج١ , الطبعة الخامسة – تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد , دار الجيل , سنة ١٤٠١ هـ ,١٩٨١م

[٥٤] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ١٦٨ .

[٥٥] لسان الدين بن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة الناصرية ص٨٧.

[٥٦] د.إبراهيم نمر موسى: مقال بعنوان أشكال التناص الشعبي في شعر توفيق زيادة ص٧٥ , مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية , عدد جمادي الأولى سنة ١٤٣٠ هـ , ٢٠٠٩م .

[٥٧] د.عبدالقادر بقشي : التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية ص ٩ , تقديم د.محمد العمري , طبعة أفريقيا الشرق , الدار البيضاء , المغرب , ٢٠٠٧ م .

[٥٨] مجدي وهبة , كامل المهندس : معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص ٥٦ , ط٢– مكتبة لبنان , بيروت, ١٩٨٤م .

[٥٩] نفسه ص١٠٨.

[٦٠] الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ١٧٣، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

[٦١] شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل ص ٣٢٣ ، تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م.

[٦٢] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ١٧١.

[٦٣] سورة الحديد آية ٢٣.

[٦٤] المقري : نفح الطيب ص ٢٥٢/ج٦.

[٦٥] سورة البقرة، من الآية ٢٥٣

[٦٦] سورة الحج، من الآية ١٤

[٦٧] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ١٦٧.

[٦٨] سورة الإسراء الآية ٦٤.

[٦٩] لسان الدين بن الخطيب : الكتيبة الكامنة ص ١٧١.

[٧٠] سورة قريش, الآية ٢.

[٧١] لسان الدين بن الخطيب : اللمحة البدرية في الدولة الناصرية ص٨٧.

[٧٢] صحيح مسلم ص٩١٣, حديث رقم ١٨٨٩ , كتاب الإمارة – باب فضل الجهاد والرباط , ط١, طبعة دار طيبة القاهرة, مصر ١٤٢٧هـ ,٢٠٠٦م., وفي سنن ابن ماجة ص٦٥٧– كتاب الفتن , باب العزلة رقم الحديث ٣٩٧٧, ط١, طبعة مكتبة المعارف , الرياض, السعودية(ب–ت).

[٧٣] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٤٣ /ج٢.

[٧٤] صحيح البخاري ص٥, حديث رقم ١ , كتاب بدء الوحي , باب كيف كان بدء الوحي إلى سوله – صلى الله عليه وسلم – ط٢, مكتبة الرشد ناشرون ١٤٢٧هـ , ٢٠٠٦ , وفي صحيح مسلم ص٩٢٠, رقم الحديث ١٩٠٧ , كتاب الإمارة – باب قوله صلى الله عليه وسلم " إنما الأعمال بالنية " وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

[٧٥] المقري : نفح الطيب ص ٢٥١/ج٦.

[76] المقري : نفح الطيب ص٥٤١ :٥٤٢/ج٥

[٧٧] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص٢٢٣/ج٣

[٧٨] لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام ص٣٠٤/ج٢.

[٧٩] المقري : نفح الطيب ص ٥٤٢/ج٥.

[٨٠] نفسه ص٥٤٢ /ج٥.

[٨١] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص٢٢٢/ج٣.

[٨٢] لسان الدين ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ص٢٢٢/ج٣.

[٨٣] نفسه ص٢٢٢/ج٣.

[٨٤] لسان الدين بن الخطيب : الكتبية الكامنة ص١٧٠.

[٨٥] المقري : نفح الطيب ص ٢٥٢/ج٦.

[٨٦] لسان الدين بن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة ص ٢٤٦/ج٢.

[٨٧] المقري : نفح الطيب ص٤٥٥/ج٥.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- د. إبراهيم نمر موسى: مقال بعنوان (أشكال التناص الشعبي في شعر توفيق زيادة), مجلة جامعة الشارقة للعلوم الإنسانية , عدد جمادى الأولى سنة ١٤٣٠ هـ , ٢٠٠٩م .
- د. أحمد عفيفي : نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي– ط١ – مكتبة زهراء الشرق – القاهرة –مصر – ٢٠٠١م .
- الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ,تحقيق : د. إحسان عباس ,دار صادر ,بيروت , ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨م.
- إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني، كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، أشرف على طبعه: أحمد القلاش، ط/ مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- الحسن بن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده – الطبعة الخامسة – تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد – دار الجيل – سنة ١٤٠١ هـ – ١٩٨١م.
- د. عبدالقادر بقشي : التناص في الخطاب النقدي والبلاغي دراسة نظرية وتطبيقية, د. محمد العمري , طبعة أفريقيا الشرق , الدار البيضاء , المغرب , ٢٠٠٧ م .
- الإمام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني، أدب الإملاء والاستملاء، دراسة وتحقيق: أحمد محمد عبدالرحمن محمد محمود، مطبعة المحمودية، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

- أبو محمد عبدالله بن محمد بن أحمد التجاني : رحلة التجاني قدّم لها العلامة المرحوم حسن حسني عبدالوهاب, طبعة الدار العربية للكتب, ليبيا / تونس ١٩٨١م.
- أبو الحسن علي الحسني الندوي : الأدب الإسلامي وصلته بالحياة مع نماذج من صدر الإسلام, ط ١, طبعة مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان – ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- علي بن عبدالله بن محمد بن محمد بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي : تأريخ قضاة الأندلس, تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي, ط ٥, دار الآفاق الجديدة, بيروت لبنان ١٤٠٣هـ , ١٩٨٣م.
- د. عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي الأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين, ط١, دار العلم للملايين ,بيروت , لبنان , ١٩٨٢م.
- الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
- لسان الدين بن الخطيب :
  - الإحاطة في أخبار غرناطة , تحقيق : د. يوسف علي الطويل, ط١, دار الكتب العلمية, بيروت, لبنان, ١٤٢٤هـ , ٢٠٠٣م.
  - أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام تحقيق أ. ليفي بروفنسال ,ط٢ , طبعة دار المكشوف, بيروت, لبنان , ١٩٥٦م.
  - الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة, , تحقيق د. إحسان عباس, ط , دار الثقافة , بيروت , لبنان, ١٩٨٣م.
  - اللمحة البدرية في الدولة الناصرية, تحقيق : محب الدين الخطيب , المطبعة السلفية , القاهرة , مصر , ١٣٤٧هـ .

- مجدي وهبة , كامل المهندس :معجم المصطلحات في اللغة والأدب, ط٢, مكتبة لبنان , بيروت, ١٩٨٤م .
- الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري :
  - الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة ١٣٧٥هـ .
  - صحيح البخاري, كتاب بدء الوحي, باب كيف كان بدء الوحي إلى سوله – صلى الله عليه وسلم – ط٢, مكتبة الرشد ناشرون ١٤٢٧هـ, ٢٠٠٦م.
- الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر – بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.
- الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، الجامع الكبير، تحقيق: د/ بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
- أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة: سنن ابن ماجة – كتاب الفتن , باب العزلة, ط١, طبعة مكتبة المعارف, الرياض, السعودية (ب–ت).
- شهاب الدين محمود الحلبي، حسن التوسل إلى صناعة الترسل ص٣٢٣، تحقيق ودراسة : أكرم عثمان يوسف، دار الرشيد للنشر، الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٠م.
- د. محمود سليم : تحولات النص الشعري من التراث إلى ما بعد الحداثة تنظيرًا وتطبيقًا,ط١ , طبعة دائرة الثقافة, حكومة الشارقة, الإمارات العربية المتحدة, ٢٠٢١م.
- الإمام مسلم بن الحجاج : صحيح مسلم, حديث , كتاب الإمارة – باب فضل الجهاد والرباط , ط١, طبعة دار طيبة القاهرة, مصر ١٤٢٧هـ, ٢٠٠٦م.

The religious impact on the poetry of Ibn Shibrin Al-Andalus. " died. 747.H"

Dr. Mahmoud Salim Ali Salim

Faculty of Arts - South Valley University

Abstract:

This study investigates the poetry of Ibn Shibrin Al Andalus "B. 747 .H". The study reveals the most important topics that the poet dealt with from the religious aspect, which were manifested by him in many points, the most important of which were: Islamic morals, asceticism and his view of the world and how this led to the emergence of religious wisdom and conveying his experience through poetry to people. His poetry reveals other Islamic meanings and concepts that were reflected by the prophetic praise. This effect was evident in Ibn Shibrin's poetry in his poetic purposes, especially in the purpose of lamentation. Then the researcher talked about the religious impact in Ibn Shibrin's poetic language, where this language is derived from the religious expression, whether on the lexemes or compound sentences, in which it is clear that it is influenced by the Qur'anic text and the Noble Hadith.

The poet also employed the various types of the compositional method in which the religious impact appeared significantly. Among the most important types of this method are (command – interrogative – appeal – oath – prohibition – lamentation– exclamation). This study depends on the mechanisms of the technical approach, so the study involves an objective part, and another technical part.

Keywords: Ibn Shibrin , impact, religious ,Islamic , poetry.